

استقم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، بلغ البلاغ المبين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله تعالى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

عباد الله: يقول الله تعالى في محكم تنزيهه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وهذا تبيان لعظم أمر الاستقامة، وما أعده الله للمستقيمين على شرعه، من نيل الجنان العالية؛ فلا يخافون مما سيقدّمون عليه، فالرب كريم، يكرم التّزِيل، ويشيب الجزيل، فلا يحزنوا على ما فارقوا من أهل وولد، فالله كالوهم وراعيهم كل ذلك تبشيراً وإكراماً لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فيا له من مقام كريم، عند الرب الرحيم!

لقد خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ وأمه من بعده بالأمر بالاستقامة، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. والأمر للوجوب، وهو يعني الثبات على الطاعة، والبعد عن المعصية.

وشأن الاستقامة عظيم فقد روى الترمذي أن النبي ﷺ قال: «شيبتي هود»، فظهر الشيب في رأسه من شدة ما لاقى من أوامر هذه السورة العظيمة، وقد ذكر أهل التفسير أن الآية التي شيبت رسول الله ﷺ هي: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "ما نزل على رسول الله آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية".

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، قال الزهري: تلا عمر -رضي الله عنه- هذه الآية على المنبر، ثم قال: "استقاموا لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب! وقال ابن رجب -رحمه الله- الذين قالوا ربنا الله كثير ولكن أهل الاستقامة قليل، وكان الحسن البصري -رحمه الله- إذا تلاها قال: "اللهم فأنت ربنا، فارتزنا الاستقامة".

وجاء الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؟ فقال: «قل آمنت بالله ثم استقم». رواه مسلم. هكذا كانت وصيته ﷺ لأصحابه، وهي من خير ما يُوصى به للثبات على مقتضيات هذا الدين، وسؤاله -رضي الله عنه- يدل على

حرص الرعيل الأول على الخير، فأجابه النبي ﷺ بهاتين الكلمتين التي حوت أصول الدين، وغاية ما يدرك به المسلم سعادة الدارين.

آمنت بالله ثم استقم هذه الكلمة الموجزة من جوامع الكلم التي أوتيتها ﷺ، فجماع الخير في الاستقامة بعد الإيمان بالله تعالى، قال ابن تيمية -رحمه الله-: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

الاستقامة حقيقتها لزوم طاعة الله تعالى امتثالاً لأمره، واجتناباً لنهييه، ومسارةً لمرضاته؛ قال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»، أي لن تصلوا إلى منتهاها، ولن تتحققوا بكمالها؛ غير أنه لا عذر لأحد بتركها، بل لا بد من الجِد في طلبها؛ ومن هنا كان لا بد أن يحصل شيء من التقصير، ولذلك أمر الله المستقيمين بالاستغفار؛ فقال جل شأنه: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾.

الاستقامة تشمل الدين كله، فهي استقامة على توحيد الله تعالى، والتزام سنة رسوله ﷺ، وتمسك بالعقيدة الصحيحة، وبعداً عن البدع والمحدثات، استقامة لا غلو فيها ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط؛ وقد ضل الخوارج لأنهم جاوزوا الحد الشرعي، فهم شرار الخلق، مع أنهم كانوا أكثر عبادةً من الصحابة رضي الله عنهم، قال ﷺ: «تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم»!

الاستقامة على الإيمان الذي هو اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، وليس تلفظاً باللسان فقط، قال الحسن - رحمه الله -: "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقّر في القلب وصدّقه العمل"؛ فالاستقامة ليست شعائر تؤدي، وإنما هي منهجٌ وسطٌ، وتصورٌ صحيحٌ، وسنةٌ منضبطة تحدد الطريق، فإذا زاد الأمر عن حده انقلب إلى ضده، وكلا طريقي قصد الأمور ذميم.

الاستقامة دعوةٌ وثابتٌ أمام دعوات المنحرفين ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾؛ فلا تتبع أهواءهم، وادع إلى الله، واثبت على الإيمان ما استطعت، فذلك هو جبل النجاة في الدنيا والآخرة.

الاستقامة على الشرع القويم شأنها عظيم، وهي مطلب المؤمنين في صلاتهم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

فما أحوجنا -معاشر الإخوة- للاستقامة التي هي الكرامة الحقيقية للعبد؛ إذ يتشرف بها في مقامات العبودية لله رب العالمين، ولما كانت ثقيلةً على العباد؛ فإن الرؤوف الرحيم ﷺ قد أرشدنا إلى السير في سبيل الاستقامة بقدر المستطاع، فقال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعملوا، وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»، رواه مسلم.

وأهم معالم الاستقامة؛ الصلاة التي من حافظ عليها كانت له صلة بربه، فتهديه للخير وتنهاه عن الشر، ولكن ليس كل صلاة يكون لها ذلكم الأثر، ﴿وَأَمَّا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

الاستقامة استمرارٌ على الطاعات قدر المستطاع، ولذلك كان أحب العمل إلى الله ﷻ أدومه وإن قل، وقال ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»، فترك النوافل يقسي القلب، ويوحش النفس ويبعدها عن الله تعالى.

الاستقامة على الفرائض والتقرب بالنوافل، سبب للوصول إلى محبة الله تعالى، القائل في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»، وإذا أحب الله تعالى عبداً نادى في أهل السماء أحبوا فلان فأحبه، ثم يوضع له القبول في الأرض.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم..

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسمع الله لمن دعا، وبعد فاتقوا الله عباد الله حقَّ التقوى، واستقيموا، وسددوا وقاربوا، وبشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا، واستبقوا الخيرات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

اللهم ارزقنا الاستقامة على الدين واهدنا صراطك المستقيم.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، وأعدنا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، يا رب العالمين.

اللهم وفق وليّ أمرنا خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده لِمَا تحب وترضى، يا ذا الجلال والإكرام.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.